عرض كتاب
"الرأي العام والإعلام الجديد: تحولات الرأي العام في البيئة الاتصالية الرقمية المعاصرة"

صدر عن دار الثقافة العربية عام 2016 كتاب للدكتورة إيمان محمد حسني عبدالله، بعنوان "الرأي العام والإعلام الجديد: تحولات الرأي العام في البيئة الاتصالية الرقمية المعاصرة"، يتبلور الغرض الرئيسي لهذا الكتاب في مساعدة الطلبة والباحثين وكل مهتم بظاهرة الرأي العام على النظر بصورة نقدية لمرحلتين متمايزتين في تطور ظاهرة الرأي العام ومفاهيمها ونظرياتها ومناهجها العلمية عبر بيئتين ثقافيتين واتصاليتين مختلفتين، وهو ما يفتح لهم آفاقًا واسعة من التأمل والبحث والدراسة.

ينقسم الكتاب إلى ستة فصول رئيسية يناقش الفصل الأول بنية ظاهرة الرأي العام مُميزًا بين طبيعة ثقافة التعبير عن الرأي في المجتمع وطبيعة الآراء الفردية المطروحة فيه، وطبيعة الرأي المنعكس من التفاعل الاجتماعي حول القضايا وطبيعة منهجيات قياس الرأي العام وأدواته، وأخيرًا وسائل الاتصال التي يبث من خلالها هذا الرأي، كما يناقش التحولات الطارئة على هذه البنية في البيئة الرقمية المعاصرة، وتأثير كل من الثقافة الافتراضية والمنظومة الثقافية لقيم ما بعد الحداثة على ثقافة التعبير عن الرأي، وطبيعة علاقة الآراء الفردية بالجماعية في المجتمعات الافتراضية والإشكاليات التي تُثيرها هذه الجزئية.

فيما يعني الفصل الثاني برصد تحولات مفهوم الرأي العام وأطره النظرية، فلا شك أنه لا يمكن اتخاذ مفهوم الرأي العام الراهن كنهج مقدس صالح لكل زمن، بل يجب

النظر إليه في ضوء الظروف التاريخية لنشأته، ومدى التغير الذي اكتنفها في المجتمعات المعاصرة، والتحديات القائمة أمام استمراره كمفهوم أوحد للرأي العام في مختلف أنحاء العالم، خاصة بعد اهتزاز كثير من عناصره الرئيسية بقوة، مثل: فكرة العام والأغلبية والوعي، وبروز أصوات ترى أنه عاجزًا عن التوصيف الدقيق للظاهرة، وينغلق داخل فكرة قياسات الرأي العام Polls، إلى الحد الذي جعل تعريف الرأي العام الأكثر شيوعًا وانتشارًا حتى الآن، ما هو في حقيقته سوى تعريف لهذه الأداة البحثية، وقد انعكست هذه التحولات بقوة على المنظومة الفكرية النظرية المفسرة للظاهرة في سياقاتها الرقمية، وهو ما تعرض له الكتاب بمزيد من التفصيل .

فعلى سبيل المثال لا الحصر، ناقش الكتاب التغيير في النظريات المفسرة لكيفية تصور الأفراد لآراء الآخرين في المجتمع، ومن أبرزها نظريات دوامة الصمت والجهل التعددي وتأثير الإجماع الكاذب الذين يفترضون أن الأفراد عادة ما يتبنون تصورات غير دقيقة عن آراء الآخرين، وهو ما يصعب قبوله الآن، حيث صار بإمكان الناس أن يستكشفوا بأنفسهم كيف يُفكر الآخرون بشكل مباشر، بدون وساطة الإعلام، أو محاولة تزييفه للآراء، فلم يعد من المقبول أن نظن عن طريق الخطأ أن الآخرين يرفضون أو يؤيدون قضية ما، وفي إمكاننا بقليل من الجهد، معرفة حقيقة اتجاهاتهم، عن طريق تصفح صفحاتهم وتعليقاتهم ومشاركاتهم في الفضاءات الرقمية.

بينما يعنى الفصل الثالث بالبحث في منهجيات الرأي العام وطرق قياسه في هذه البيئة الجديدة، مستعرضا منظومة حديثة من المنهجيات والأدوات وطرق سحب العينات، التي تم تطبيقها في هذا المجال، ويحلل بصورة موجزة أهم أسباب تأييد أو رفض فحص آراء مُستخدمي الإنترنت بوصفها مؤشرًا دالًا على اتجاهات الرأي العام.

ويستعرض الفصل الرابع أبرز أشكال التعبير عن الرأي العام في البيئة الرقمية المعاصرة، وهي: التوقيعات الإلكترونية، واستطلاعات الرأي، والتصويت الإلكتروني، وتعليقات المستخدمين وتقييماتهم في المواقع الإخبارية، وشبكات التواصل الاجتماعي، والمدونات، والمناقشات الإلكترونية، ومزايا وعيوب دراسة ظاهرة الرأي العام عبر هذه السياقات الرقمية المختلفة من حيث حرية وعفوية التعبير عن الآراء، وإشكاليات الكم والطبيعة المختصرة والتراتيبية لبعض نصوصها وعلانية النشر وإمكانية التعبير عن المشاعر والعواطف وتخطي الحدود الجغرافية ..... إلى اخره.

فيما يعني الفصل الخامس بإلقاء الضوء على الاتجاهات الحديثة والمعاصرة في بحوث الرأي العام والإعلام الجديد، من خلال ثلاث محاور رئيسية، أولهم: من يعبرون عن آرائهم في البيئة الرقمية، تصنيفاتهم وخصائصهم، وهل هم أفراد أم جماعات؟ وهل هم أفراد عاديون أم نخب مجتمعية؟ وهل هم حقيقيون أم من ذوي الهويات الوهمية، وهل ينتمون لأطر تنظيمية معينة، كالأحزاب والحركات؟ وهل هم متقاربون فكريًا أم لا؟ وما هي خصائصهم الديموجرافية؟ وهل توجد ثمة فجوات رقمية بينهم؟ وما هي خصائص قادة الرأي الجدد؟

أما المحور الثاني فيعرض لكيفية التعبير عن الآراء والتقييمات والأحكام في البيئة الرقمية وطبيعة التفاعلات والعلاقات، مع تحديد المتغيرات المؤثرة على إرادة التعبير عن الرأي أونلاين وأسلوبه، وطبيعته المباشرة أو غير المباشرة، كما يناقش المتغيرات المؤثرة علي هذه الجزئية، فيما يعني المحور الثالث برصد التأثيرات الناتجة عن التعبير عن الرأي في البيئة الرقمية، وكيف أن أغلب الدراسات العلمية العربية قد تبنت أطروحة غربية مثالية تُثني على التأثيرات الإيجابية للتكنولوجيا على كل من المكون المعرفي والوجداني والسلوكي للمواطنين خلال الخمس سنوات

الماضية، خاصة مع اندلاع ثورات الربيع العربي، فيما قد تجاوزت العديد من الدراسات الغربية هذه الاطروحة، وإن كانت من حين لآخر تلوح بها في بحوثها على الدول النامية، ودور التكنولوجيا في قيادة هذه الدول نحو الحرية والديمقراطية!

وأخيرًا يُقدم الفصل السادس بعض النماذج التطبيقية لدراسات الرأي العام في البيئة الرقمية المعاصرة، أولهم: دراسة عن "تعليقات المستخدمين في الصحف الإلكترونية وصلاحيتها لتكوين الرأي العام المصري في المداولات العامة"، ومن أجل الإجابة على تساؤلات الدراسة، تم تصميم مقياس رباعي الأبعاد لقياس جودة الرأي The Quality of Opinion المطروح في تعليقات المستخدمين، ومدى صلاحيته للتأثير على اتجاهات المستخدمين الآخرين في هذه الساحات الافتراضية، بالتطبيق على قضية محاكمة الرئيس السابق محمد حسني مبارك، كما يوضح الشكل التالي:

المقياس رباعي الأبعاد المصمم لقياس جودة الرأي في تعليقات المستخدمين

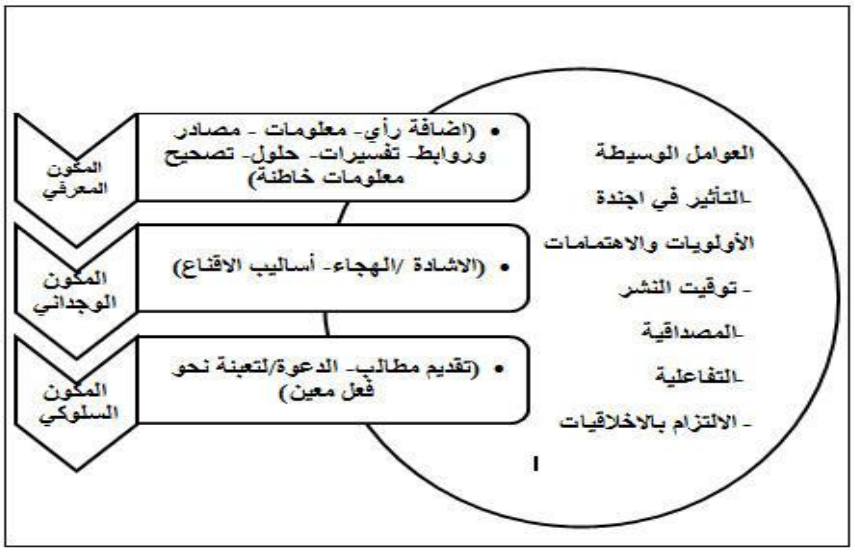

أما النموذج الثاني فيعرض لدراسة عن "التماس المعلومات السياسية من شبكات التواصل الاجتماعي وعلاقته بالاتجاهات التعصبية للشباب المصري"، وقد أجريت هذه الدراسة في فترة سيطرت فيها الاتجاهات البحثية المؤكدة على التأثيرات الإيجابية لشبكات التواصل الاجتماعي، خاصة بعد اندلاع ما اصطُلح على تسميته- حينذاك- بثورات الربيع العربي، وقد جاءت لتقدم طرحًا بحثيًا مغايرًا، يلفت أنظار الباحثين للتأثيرات السلبية للظاهرة، ومن ثم، تهدف الدراسة إلى تحقيق هدف رئيسي، وهو: فحص علاقة سلوكيات التماس المعلومات السياسية من شبكات التواصل الاجتماعي بمستوى الاتجاهات التعصبية السياسية، لدى طلبة الجامعات المصرية في الفترة من أول أكتوبر 2012م وحتي منتصف ديسمبر من العام نفسه، وتتبنى الدراسة نسقًا متكاملًا من النظريات المفسرة لكيفية البحث عن المعلومات والمعارف، والتعرض لها وتفسيرها، وهم: نظرية التماس المعلومات ونظريات التوازن والتصنيف المعرفي.

في حين يعرض النموذج الثالث لدراسة عن "مشاركة المصريين في أنشطة العرائض وحملات جمع التوقيعات المطبوعة والإلكترونية"، وتهدف الدراسة إلى استكشاف أنشطة فئة مجتمعية صاعدة، لا يقل تأثيرها في عصر الديمقراطية المباشرة، عن تأثير الأحزاب والحركات، وهي قوى الملتمسون الإلكترونيون، من خلال رصد وتحليل أنماط مشاركة المصريين في أنشطة العرائض وحملات جمع التوقيعات المطبوعة والإلكترونية، عن طريق إجراء دراستين منفصلتين، أحدهما تحليلية على عرائض المصريين المرفوعة على عينة من مواقع رفع العرائض الإلكترونية، في عامي 2012م و2013م، وهي: موقع Avaaz.org وموقع Causes.org وموقع Gopetition.org ، والأخرى دراسة ميدانية على عينة من المصريين الذين شاركوا في ممارسة هذه الأنشطة، لرصد وتوصيف الظاهرة وتحليلها في سياقاتها المجتمعية المعاصرة، للوقوف على أهم خصائص هذه المشاركات وخصائص الملتمسين وأهم القضايا التي يثيرونها.